

الشباب والتواصل الافتراضي

بين الحتمية التقنية والضرورة القيمية - رؤية سوسولوجية -.

Youth and virtual communication Between technical determinism and value necessity - sociological view -.

أ. محمد براى

أستاذ مساعد قسم -أ-،

جامعة العربي التبسي-تبسة-،

باحث دكتوراه،

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،

جامعة محمد الأمين دباغين -سطيف 2-،

Mohamedbrai@gmail.com

ملخص:

كثيرة اليوم هي الإشكاليات المتصلة بثنائية وسائط التواصل والشباب، وبرغم عديد الدراسات التي تسعى للإحاطة الشاملة بجوانب هذا التأثير في الوسط المجتمعي، بما في ذلك مجتمعاتنا العربية التي تعتبر طرفا مهما في معادلة التكنولوجيا الرقمية، حتى وإن كانت في طرف الفاعل المستهلك لا المنتج، فإن زاوية رؤيتنا هذه وجهت إلى أحد أبرز المستخدمين لهذه التقنيات الحديثة في عصر عولمة الاتصال والشبكات، فئة الشباب من خلال تسليط الضوء على درجة ومدى استخدامات الشباب لوسائط لها، وجوانب تأثير هذا الاستخدام، وأبرز التحديات المفروضة للتصدي للاستخدامات السلبية لهذا الغازي بدون سلاح، ومحاولة استغلال وتوجيه الاستخدامات الإيجابية في بناء مجتمعاتنا العربية.

الكلمات المفتاحية: الاتصال، الاتصال الافتراضي، الشباب، القيم التقنية.

Abstarct :

Today there are many issues related to the binary media and youths and modern media. Despite the variety of studies that have opened up a path to a good understanding and comprehension of the aspects of this impact in communities involving Arab societies which are essential side in the modern technological equation though as a consumer not as a producer. Our view was oriented toward one of the prominent activists calling to use these

modern means and techniques in the age of communication and web globalization ; it's the youths category.

Our aim through this research paper is to spot light on how much youth use these communication technology means and the extent and the aspects of this use and also the most prominent challenges imposed to face these negative uses of this weaponless invader and trying to exploit and guide the positive uses to build our Arab communities.

Key words: Communication, virtual communication, youths, values techniques.

المقدمة:

مرت أشكال وأنماط الاتصال البشري عبر التاريخ الإنساني بمجموعة من المراحل التطورية، أسست كل مرحلة منها إلى إلغاء مفاهيم وأنماط قديمة للعملية الاتصالية وساهمت في ظهور وبناء أشكال جديدة منها، ولا شك في أن لكل مرحلة من هذه المراحل مميزاتها وخصائصها التي قدمت للإنسان في عناصرها المرحلية بعض الخدمات التي ساعدته على القيام بمتطلباته اليومية وبأدواره الحياتية، بدأ بعصر الإشارة والرموز والرسوم والنقوش على الصخور والجلود إلى عصر اللغة والتخاطب مروراً بالكتابة والطباعة، وصولاً إلى الاتصال الجماهيري عن طريق التلفزيون والإذاعة والجرائد الورقية إلى ما نعيشه اليوم من مراحل متطورة في تقنيات الاتصال الرقمي الشبكي والافتراضي، ما جعل المجتمعات اليوم تعيش انفتاحاً معرفياً وثقافياً واجتماعياً كبيراً، بعد أن كانت تسعى في زمن سابق من خلال وسائل الاتصال التقليدية لقضاء بعض الممارسات اليومية والعادية.

هذا الاستخدام المفروض لشبكات وتقنيات الاتصال والتواصل له بالغ الأثر على مجتمعاتنا العربية، باعتبارها فاعلاً مستهلكاً لهذه التكنولوجيات على وجه العموم ولفئة الشباب باعتبارها الفئة الأكثر تقبلاً واستخداماً لهذه التقنيات، والأكثر انفتاحاً وتقبلاً لثقافات وعادات وأنماط معيشة الأخر خاصة بنظرائهم من المجتمعات الغربية، وهذا ما أدى إلى شيوع أنماط جديدة من السلوكيات والقيم والتفاعل الاجتماعي، تنوعت في عمومها وتميزت في عناصرها بين الإيجابي والسلبي، وباتت من الأنماط المعاشة يومياً والتي لا يمكن في غالب الأحيان الاستغناء عنها، وهذا ما أردنا من خلال هذه الورقة البحثية أن نتطرق إليه بشيء من التفصيل بهذا الطرح الإشكالي في محاولة حصر استخدام شبابنا اليوم لتكنولوجيات الاتصال الحديثة وتأثير هذا الاستخدام على حياته اليومية في مختلف المجالات، وحصر أهم سلبات هذا الاستخدام والطرق

الملائمة لمعالجة مكانن الءلال؁ مسءنءن فف ءلللنا إلف مقاربءن نظربءن الأولى فف ءقل الإعلام وءءنولوجفاء الءءصال للمفكر والءانب الكنبف مارشال ماكلوهان ءءءء عن ءور وأهمفة وإسهاماء وءأءفر وسائل الءءصال على الأفراء والمءءمعاء والءأنفة مقاربة سوسفو إعلامفة للباحء الءزائرف الأساءء الءكءور عبء عزف ءءء من المرجعة الإسلامية لمنظومة القفم إطارا ومنهءبءنا فف باءو سوسفولوجفا الءءصال والإعلام.

مءءل مفاهفمف للءراسة

لا شك أن لكل ءراسة ناجءة أو عمل باءف ذا فائءة مفاهفم ومصءلءاء ءسءء علفها الءراسة وءكون مركزها النظرف إذا ما ءم ءءقفها وءءقفها والإءاطة بمءءلف زوافا نظرها البءءفة؁ أف وءوب ءءقف الزاوبة البءءفة الواجب الولوء منها إلف مكانن الءراسة؁ ءاصة فف ظل ءءاأل المصءلءاء فف مفءان العلوم الإنسانفة والاءءماعفة.

I. مفهوء الءءصال:

فف الجانب اللغوف فعبءر الءءصال والمءرءم من الكلفة الانءلفرفة (Communication) والمشبقة أصلا من الكلفة اللاءفنفة (Communis) الءف ءعنف الشفء المشءرك وفعله (Communicare) أف فذفع وفشفع فالءءصال فعبنف الاشءراك بفن شءص أو مءموعة من الأشءاص فف معانف واءءاهاء ومواقف مءءلفة.(1)

والاءءصال أفضا كلفة مشبقة من مصدر وصل الءف فءمل معنفن رففسفن:

1. الرطب بفن شءصفن وءلك عكس الفصل والءقع؁
2. البلوء والاءءهاء إلف ءاففة ما؁ وفقال وصل الشفء أف بلغه ووصلنف البءر بلغنف.(2)
- أما فف البانف الاصءلاءف ففعرف على انه عملفة ففم عن طرفها إفصال المعلوماء أفا كان نوعها من أف عضو فف الوءءة الإءارفة إلف عضو أو أكءر فقصء به ءغفر.(3)
- كما فعرف بأنه ءبائل المعلوماء وءقل المعانف وبالءالف فف هو مءور الءنظفماء ووءوءها.(4)
- أما بالرجوع إلف مصءلء الءواصل والءواصل الافتراضف ففمكن القول أن الفعل ءواصل فشفر إلف الرغبة فف إقامة علاقة مع إنسان آءر وءالبا ما ءكون هءه العلاقة ذات طابع عاطفف مءفن.(5)

وفيما يخص مفهوم التواصل الافتراضي فيمكن القول بأنه كل عملية اتصال تتم بين شخصين أو أكثر بشرط استخدام التقنيات الحديثة في هذه العملية على نحو شبكات الاتصال الداخلية والخارجية والحواسيب والهواتف الذكية، ومن خلال هذه العملية يتم إلغاء العامل المباشر في عملية الاتصال في إطارها الواقعي. كما يمكن تعريفه بأنه مجموعة الرسائل الصادرة والواردة في شكلها الافتراضي بموجبها يتم إنشاء علاقات عبر شبكة الاتصال بين المستخدمين.

II. مفهوم القيم:

في السياق اللغوي كلمة القيمة جمعها "قيم" ويقابلها في اللغة الفرنسية valeur وفي اللغة الإنجليزية كلمة values، فالقيمة مشتقة من الفعل قام بمعنى وقف، واعتدل، وانتصب، وأستوي وبلغ. (6)

وكلمة "قيم" تدل أصلا على اسم النوع من الفعل قام بمعنى وقف واعتدل وانتصب وبلغ واستوى والقيمة بالكسر هي شرعا ما يدخل تحت تقويم مقوم، ومنه القول قيم الشيء تقيما أي قدر قيمته (7)، ويقال أيضا أمر قيم بمعنى مستقيم، حيث يقول ابن منظور في هذا السياق أن القيام يجيء بمعنى المحافظة والإصلاح. (8)

- ومنه قوله تعالى «الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ». (9)
- يعرفها عبد الرحمن عزّي من خلال حديثه عن الثقافة والاتصال وهي من التعريفات التي تعتبر الدين مصدر القيم حيث يقول «الثقافة سلم يمثل مستواه الأعلى القيم، والقيمة ما يرتفع بالفرد إلى المنزلة المعنوية، ويكون مصدر القيم في الأساس هو الدين، فالإنسان لا يكون مصدر القيم وإنما أداة تتجسّد فيها القيم. (10)
 - ويعرفها علي سعيد إسماعيل في كتابه (الأصول الفلسفية للتربية) على أنها معايير للسلوك الاجتماعي تزنه وتقدره وبناء على هذا الوزن وهذا التقدير تحكم بأن هذا السلوك واجب وذلك السلوك محرم. (11)

ومنه فالقيم هي عنصر أساسي من عناصر قوام الحياة الإنسانية بغض النظر على نوع وعناصر واليات ومرجعيات هذه القيم، إذا ما تم استغلال الجوانب الايجابية البناءة في توجيه الأفراد.

III. مفهوم الشباب:

الشباب مفرد شب أي صار فتيا حيث يقال "من شب إلى دب" بمعنى من فترة عيش الإنسان من سن الشباب إلى سن الاتكاء واستخدام العصا في قضاء الحوائج، وشبب أي ذكر أيام الشباب واللهو والغزل، وشب له الشيء أي أتيح وقدر له من الله. (12)

ويعرف أيضا بنفس هذا السياق في معجم الوسيط بالقول شب الغلام شبابا أي أدرك طور البلوغ، والشباب هو الفتاء والحدأة (13)

أما من الناحية الاصطلاحية فيعتبر مفهوم الشباب من المفاهيم الصعبة الحصر التي لا يمكن الاتفاق حول تحديد مفهوم وتعريف موحد له، وسنحاول إيجاز بعض معاني هذا المفهوم وإيضاحها فيما يلي من التعريفات، حتى يتسنى لنا حصر تعريف شامل

- ففي الجانب البيولوجي يؤكد من خلال اتجاهه أن مفهوم الشباب إنما تفسره الحتمية البيولوجية، وذلك من خلال اعتباره مرحلة عمرية أو طور من أطوار نمو الإنسان الذي فيه يكتمل نضجه العقلي والنفسي، ويبدأ عادة من سن 15 إلى سن 25 وقد يصل في الغالب إلى سن 30.

- أما في الجانب السيكولوجي فيرى أصحابه أن مفهوم الشباب إنما ينحصر في حالة عمرية تخضع لنمو بيولوجي من جهة، ولثقافة الفرد من جهة أخرى بدأ من سن البلوغ وصولا إلى سن الرشد، حيث تنتهي هناك عملية التطبيع الاجتماعي.

- الاتجاه السوسبيولوجي حيث ينظر إلى الشباب باعتباره حقيقة اجتماعية، وليس ظاهرة بيولوجية فقط فإذا توفرت مجموعة من السمات والخصائص كالعمر والبنية الجسمية والصحة والنشاط مثلا وجب القول أنا هذا المجتمع شاب. (14)

- كما عرفه عثمان سيد أحمد بأنه ذلك القطاع الأفقي الذي يدخل في تركيب مختلف القطاعات الرأسالية في المجتمع الإنساني، والذي يعتبر الركيزة الأساسية في مختلف مجالات الحياة، وذلك للخصائص والمميزات التي تتوفر عليها هذه الفئة، كالصفات البدنية والعقلية النفسية، والاجتماعية. (15)

- ويعرفه الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفى بأنه دور من أدوار العمر يمر به الإنسان أثناء تنقله بين مراحل العمر المتتالية وتحديد فترة الشباب زمنيا من الأمور التقريبية، لأن عمر الإنسان متداخل ببعضه البعض، غير أن ما يميز المرحلة بوضوح هو تلك الخصائص

كما يركز ماكلوهان بالفكرة القائلة بأن الوسيلة هي الرسالة، إذ أن مضمون أي وسيلة هو دائما وسيلة أخرى فالكتابة مضمونها هو الكلام والكلام المكتوب هو في نفس الوقت مضمون الطباعة، والمطبوع هو مضمون التلفزيون. (20)

وفي نفس السياق يقسم ماكلوهان وسائل الإعلام إلى وسائل باردة وأخرى ساخنة، ويقصد بوسائل الاتصال الباردة تلك الوسائل التي تتطلب من المستقبل لمضمون الرسالة التي تبثها الوسيلة بذل جهد فكري لإستعاب محتوى ومضمون الرسالة والمعايشة والمشاركة والاندماج فيها ويصنف هذه الوسائل في كل من الكتابة بأنواعها والتلفاز والهاتف، أما الوسائل الساخنة تلك الوسائل الجاهزة التي لا يستعمل متلقي الرسالة عبرها إلى جهد في فهم محتواها ومضمونها كالإذاعة والسينما. (21)

الحتمية القيمية من منظور عزي عبد الرحمان

تعتبر نظرية الحتمية القيمية من النظريات الحديثة في حقل الإعلام والاتصال تهتم بدراسة التأثيرات التي تعيشها المجتمعات العربية في ظل تنامي المد التقني وعصر العولمة تعود الجذور والمسميات الأولى لها للمفكر للباحث عبد الرحمان عزي * (22)

حيث أطلق عليها في بداية الأمر مسمى الحتمية النظرية القيمية، وقد أعطيت النظرية فيما بعد عدة مسميات تمثلت فيما يلي:

- على مستوى النظم: الإعلام القيمي،
- على مستوى التأثير: الحتمية القيمية الإعلامية،
- على مستوى النماذج: نموذج عزي عبد الرحمن. (23)

ويتكون مسمى النظرية من ثلاث ألفاظ أساسية هي:

1. **الحتمية:** ويقصد بها اعتبار متغير واحد على أنه المحرك الأساس في تفسير أوفهم الظاهرة والمتغير الرئيس في هذه الظاهرة هو القيمة. أما الظاهرة فتخص الإعلام والاتصال،
2. **القيمة:** عرّف عزي عبد الرحمن القيمة بأنها ما يرتفع بالفرد إلى المنزلة المعنوية، ويكون مصدر القيم في الأساس الدين، فالإنسان لا يكون مصدر القيم وإنما أداة تتجسّد فيها القيم،
3. **الإعلام:** ويقصد به رسالة الإعلام بوسائله التقليدية «الصحف، المجالات، الإذاعة، التلفزيون» والحديثة «الانترنت، الإعلام الاجتماعي...» (24)

ومنه طرح عزي عبد الرحمن في كتابه منهجية الحتمية القيمة في الإعلام أبعادا للقيمة يرى أنها تتناغم مع فطرة الإنسان وتسعى إلى الرقي به، بحيث تعتبر كلها قيم نابعة من مصدر واحد وهو المعتقد (الدين)، وأن الإنسان ليس مصدر هذه القيمة بمختلف أبعادها وإنما أداة تتجسد فيه في مختلف أنشطته، وقد صنفها إلى اثني عشرة بعدا بحيث أن كل بعد يتضمن قيما معينة نوردتها فيما يلي: (25)

- **البعد الإيماني:** الإيمان بالله، أداء العبادات، العمل الصالح، الإخلاص في العمل، التفقه في الدين... إلخ
- **البعد التواصل:** حسن التواصل مع الآخرين، إتباع أسلوب الحوار مع الآخر، ممارسة الإقناع بدل التسلط على الآخر، توظيف فن التفاوض والحلول الوسطى، الجدل بالتي هي أحسن، التبسم للآخر... إلخ،
- **البعد الزمني:** احترام الوقت، أداء العمل في وقته، إعادة الدين في وقته... إلخ،
- **البعد المكاني:** العناية بالمكان الداخلي، العناية بالفضاء العام، الوعي بأهمية البيئة... إلخ،
- **البعد اللساني:** استخدام الكلمات الايجابية في الحديث، حفظ اللسان، ستر الآخر... إلخ،
- **البعد النفسي:** الرضا، ضبط النفس، الرجاء، الصدق، الأمانة، الوفاق، الصبر، القناعة، الاستقامة، الحياء، الاحتشام، الكرم، الوفاء، التواضع، الزهد، الثقة بالنفس... إلخ،
- **البعد الاجتماعي:** حسن الجوار، التعاون، الصداقة، العمل التطوعي، التكافل الاجتماعي، احترام الآخرين، الإيثار، التضحية، توقير الكبير، الرفق بالصغير، بر الوالدين، احترام المرأة، التسامح، حسن الظن بالآخرين، صلة الرحم... إلخ،
- **البعد الاقتصادي:** حب العمل، إتقان العمل، الاستثمار الحلال، الكسب الحلال، الاعتدال في الإنفاق، الادخار، الوفاء بالدين، الإنفاق في سبيل الله، احترام ملكية الآخرين، القناعة... إلخ،
- **البعد التربوي:** حب العلم، طلب العلم، تقدير العلماء، الأمانة العلمية... إلخ،
- **البعد السياسي:** العدل، الشورى، الحرية، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... إلخ،
- **البعد الجمالي:** الذوق، الجمال... إلخ،
- **البعد الإنساني:** الاحترام الإنسان كإنسان، احترام التنوع الثقافي واللساني والسياسي والعرقي، احترام الأديان الأخرى... إلخ. (26)

- وقد حدد عزى مجموعة من الركائز الأساسية تقوم عليها نظرية الحتمية القيمية تمثلت في:
- ✓ أن الاتصال منبثقا من الأبعاد الثقافية الحضارية التي ينتمي إليها المجتمع،
 - ✓ أن يكون الاتصال تكامليا في أنماطه ووسائله (السمعي البصري، المكتوب الشخصي) مع التركيز على المطبوع لأنه من أسس قيام الحضارات،
 - ✓ أن يكون الاتصال مبني على المشاركة الفعالة من قبل الجمهور كافة،
 - ✓ أن يكون الاتصال حاملا للقيم الثقافية والروحية التي تدفع المجتمع إلى الارتقاء. (27)

وسائل الاتصال بين جمود الوسيلة وسيولة المعلومة

إذا كان البريد عبر العصور الماضية قد سهل عمليات تواصل البشر عبر ظهور الخيول والجمال، ثم الحمام الزاجل و تطور مع اختراع القطار والسيارة ليصبح أكثر سرعة، فإن الطائرة قد جعلته أكثر سرعة ، ومع دخول الحاسب الآلي والننت، أصبح البريد الإلكتروني آني في إيصال الرسائل متخطيا بذلك الحدود الزمكانية، وإذا كان التلفون الثابت قد ربط الناس وسهل عمليات تواصلهم، فإنه شكل قيذا في توقيت عملية الاتصال والتواصل، بحيث لا يمكن للفرد الاتصال تلفونيا إلا إذا كان الطرف الآخر موجودا ومتزامنا معه، ومنه فالتكنولوجيا الحديثة قد حررت الإنسان من جميع قيود الزمان والمكان وجعلته يستطيع الاتصال من أي مكان وفي أي وقت يشاء من خلال تكنولوجيا الأقمار الصناعية، فقدم بذلك الهاتف المحمول (GSM)، الوسيلة الأكثر تطورا وسرعة في نقل الرسائل، وإذا كان المرء سعيدا بالاستماع إلى الراديو أو مشاهدة التلفزيون فإنه في نفس الوقت كان حزينا لأنه كان لا يستطيع أن يعيد ما شاهده أو استمع إليه ومشاركته الآخرين، حتى جاءت تكنولوجيا المسجلات الصوتية والفيديوية، فجعلت بإمكان أي فرد أي يستمع لأية مادة إذاعية في أي وقت وبأي عدد من المرات دون تكلفة، ودون أي عناء جسدي أو ذهني، وهنا نجد أن هذه الوسائط قد أثرت وعظمت من فعالية وتفاعلية وسائل الاتصال التقليدية كالراديو والصحيفة وغير ذلك، وظهرت اختراعات جديدة مثل DVD/CD سهلت من تزامن نقل الرسائل (28) وكثيرا ما يسمى عصرنا بأنه عصر السرعة، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها، سواء في الانتقال أو نقل المعلومات أو في تطوير وتحديث وسائل المعلومات والاتصالات نهاية القرن العشرين، وبذلك جعلتنا ندخل القرن الحادي والعشرين في حال من الذهول بعد تزايد السرعة وتناقص الزمن وتلاشي المكان وظهور ما يسمى بمصطلح (بالزمان الجديد)الذي يتداخل فيه الزمان والمكان دون المؤلف قديما، وفيما يلي توضيح لمسيرة تطور

البشرية في مختلف المجالات بما في ذلك الاتصالات والمعلومات حسب كل عصر وما احتاجته البشرية من وقت للانتقال من تقنية إلى أخرى.

التاريخ	النقل	الاتصالات	المواد الصناعية	البيولوجيا الكيميائية	الفيزياء
1800	القاطرة البخارية	الكاميرا، الحاسبة التليغراف	محركات تجارية	كيمياء لا عضوية	النظرية الذرية
1850	السيارة	التليفون، الفونوغراف	الكهرباء	الكيمياء	الطاقة الكهرومغناطيسية وأشعة أكس
1900	الطائرة	البنوية المفرغة	محرك البنزين تثبيت النيتروجين	الوراثيات الفيتامينات	الإلكترونات - النشاط الإشعاعي
1910	/	الراديو	/	كروموزونات	النظائر المشعة- نظرية الكم
1920	/	/	/	الجينات	بنية الذرة
1930	/	التليفزيون	/	الهرمونات	ميكانيك الموجات والنيترون
1940	النفاثات - الصواريخ	الرادار-مسجلات الأشرطة	الطاقة الذرية	المضادات الحيوية السيليكونات	انشطار اليورانيوم، علم الفلك
1960	سفن الفضاء	الأقمار الصناعية	/	بنية البروتين	بنية النيكلون
1970	النزول في الفضاء	ماكينات الترجمة	تخزين الكهرباء	لغة الحتان	/
1980	النزول على الكواكب	الراديو الشخصي	/	بيولوجيا خارج الأرض	موجات الجاذبية
1990	/	الذكاء الاصطناعي	الطاقة الاندماجية	السيورج	/
2000	استعمار الكواكب	المكتبة الكوكبية	الطاقة اللاسلكية التعدين من البحر	الزمن دعم الإدراك	البنية تحت نووية
2010	المسحات الأرضية	أجهزة الحس عن بعد	التحكم في الجو	/	/
2020	مجسمات ما بين النجوم	اللغات المنطقية الروبوتات	/	التحكم في الوراثة	الحواجز النووية

2030	/	الاتصال بكائنات خارج الأرض	التعدين في الفضاء	الهندسة الحيوية	/
2040	/	/	تحويل العناصر	الحيوانات الذكية	/
2050	التحكم في الجاذبية (قيادة في الفضاء)	إعادة عرض الذاكرة وراء	/	تعليق الحياة	/
2060	/	المربي الميكانيكي تشفير الممنوعات	هندسة الكواكب	الحياة الاصطناعية	تحريف الزمان والمكان
2070	مقاربة سرعة الضوء	/	التحكم في المناخ	/	/
2080	الطيران بين النجوم	تفوق ذكاء المكنية على الإنسان	/	/	/
2100	اللقاء مع كائنات خارج الأرض	/	الهندسة الفلكية	الخلود	/

عنوان الجدول: مسيرة تطور البشرية في مختلف المجالات بما في ذلك الاتصالات والمعلومات منذ عام 1800 إلى غاية 2100 (29)

وبالعودة إلى الجدول الذي حاول فيه الدكتور حسن علي محمد أستاذ الإذاعة والتلفزيون ورئيس قسم الإعلام والاتصال بكلية الأدب جامعة المنيا المصرية أن يعطي نموذجا تكامليا عن تطور وسائل الاتصال منذ سنة 1930 م إلى غاية 2100، مستغلا مقارنته مع تطور النواحي الأخرى الصناعية والبيولوجية والفيزيائية، وبالتركيز على الخانة الخاصة بالاتصالات والمعلومات نلاحظ التسلسل المنطقي والذي بين بوضوح أهمية كل مرحلة، ودورها في التأسيس للمرحلة التي تليها، كما أراد من خلال هذه الصورة المسبقة في ظل التطور الرهيب الحاصل في تقنيات الاتصال، وصف الحالة التي يمكن أن تصل إليها تكنولوجيا الاتصال في عام 2100 من خلال اكتشاف وسائل قادرة على إعطاءنا فرصة التواصل مع كائنات أخرى من خارج الأرض، هذه الفرضية لا تستبعد في إثباتها، لأن الإنسان وبالرجوع إلى عام 1850 كما هو مبين في الجدول، نلاحظ أن وسيلة النقل التي كان يستعملها آنذاك هي السيارة وأن أداة الاتصال هي التلغراف كجهاز اتصالات خارق في ذلك الوقت لإرسال البرقيات والنصوص، والفونوغراف كجهاز ينتج أصوات سجلت على أسطوانات سمعية، وبالتالي هذه الوسائل هي قمة الإبداع عنده، ولو وضعت

فرضيات في ذلك الوقت تتحدث عن ظهور وسائل تساعد على الاتصال بشخص آخر في مكان آخر بالصورة والصوت في نفس التوقيت، لكان أمرا يصعب تصديقه من طرف الأفراد المستمعين بتقنيات تلك الفترة المتطورة في نظرهم ويربط الأحداث وتواليها القديمة منها أو التي نعيشها اليوم يمكن لنا تصديق هذه الفرضيات المطروحة من طرف الدكتور حسن علي ولو في بعض أجزائها فقط ، والتي تؤسس إلى عالم يفوق تصور العقل البشري في عديد الأحيان.

مؤشرات بروز الأزمة القيمية لدى الشباب في عصر ما بعد العولمة

إذا كانت العولمة إحدى مؤشرات التحول في الخارطة العالمية في ظاهرها، والصورة المميزة لحقيقة النظام العالمي المعاصر إلا أنه في بطنها الخفي تحمل صورة خفية عن مفهوم التبعية والهيمنة الحقيقية (أمركة العالم) وترسيخ المفهوم الخاطئ عن العولمة بأن أمريكا السيد في تقرير المصير وفي فرض القوانين والأحق بالتبعية من قبل جميع الدول بما فيها النامية والمتخلفة بطبيعة الحال، ومنه فالعولمة كأحد مؤشرات النظام العالمي المعاصر تعني استقلال دول المركز بسياسة العالم وصناعة القرار، وترتيب نسق التفاعلات على المسرح العالمي مع تبعية دول الأطراف لما يسوقه النموذج الغربي بأنه الصواب، وهذا مما عجل وسهل في مجتمعاتنا في تشكيل أزمة قيمية جعلتها تعيش على متناقضات عدة، من أهم هذه المؤشرات الدالة على وجود أزمة قيمية في مجتمعاتنا العربية عموما ومجتمعنا الجزائري على وجه الخصوص مجموعة من النقاط نوجزها فيما يلي:

- أن الفرد اليوم أصبح يعيش كثيرا من التناقضات وهذه الحالة تنعكس بوضوح في تقدم التكنولوجيا وتخلف الابدولوجيا، حيث أفرغ الفكر الغربي المعاصر ما كان في عهود سابقة من ثوابت الهوية، والتي كانت محملة بمعاني الحياة الحقيقية وهذا ما دفع بعديد الباحثين إلى القول بأن العصر الذي نعيشه اليوم هو عصر الفكر المنزوع سلاحه، وهذا يؤكد أن ثقافة اليوم غير آمنة وفقيرة من عديد القيم الإنسانية والأخلاقية البناءة ومن قيم السلام والتعايش الحقيقية،

- بالإضافة إلى أن الفرد في مجتمعاتنا المعاصر أصبح أسير تقنيات الآلة والبرمجة والوسائط الحديثة لا يجيد من ثقافات القيمة إلا ما يتحدث به التراث والذاكرة والمخيل الاجتماعي،

- كما أن مشكلة الإنسان المعاصر اليوم هي مشكلة توجيهه في اتجاه القيم العالمية، وذلك لأن معنى القيمة البشرية مجهول الآن تحت ضغوط الاقتصاد العالمي، والقيم التي تعرض

ألا لا تمثل إلا حاجات محدودة تتطابق مع تطورات التكنولوجيا، وعلى ذلك فإن الفرد اليوم يعيش لحاجاته ولا يعيش لذاته. (30)

استراتيجية مواجه الصراع القيمي في ظل تنامي الاستخدام التقني

في ظل تنامي مد التغيرات والتحولات التي أصبح يسمي ويصبح عليها المجتمع المعاصر والتي مست مختلف ميادين الحياة اليومية، أصبح سؤال الهوية والحضارة يطرح نفسه بشدة وبشكل دائم، وأصبح الحديث عن الخصوصيات الثقافية في زمن العولمة مثار جدل واسع في أوساط المهتمين بالمسار الثقافي والحضاري لكل بلد، ولكل إقليم وجهة ومن هنا يمكننا القول أن محاولات التتميط الثقافي والاجتماعي كما ترى الباحثة سعد جبر سعيد يمر بالضرورة عبر إعادة ضرب وتغير منظومة القيم التي تحفظ لكل بلد خصوصياته، بطبيعة الحال هذا بعد النجاح القهري الذي حققته العولمة الغربية، ومن هذا الاتجاه أصبحت النظرة إلى قضايا التنمية وقضايا الفرد والمجتمع بصفة عامة تأخذ بعدها الدولي من خلال المؤتمرات العالمية التي تعقدتها هيئة الأمم المتحدة، ونجد من خلالها الأصوات المنادية بالخصوصية الحضارية للشعوب ترفع أصوات الاحتجاج والاعتراض والتحفظ على كل ما من شأنه أن يمس أسسها العقائدية والفكرية، وما لا ينسجم وواقعها، وتحاول أن تستصدر من هذه المؤتمرات توصية تمكنها من تكيف التوصيات الدولية مع خصوصياتها، إلا أن الأمر بالنسبة لقيمنا الإسلامية يتجاوز الحديث عن الخصوصيات الإقليمية لكونها قيما ذات صبغة عالمية على الأقل من الناحية النظرية، وهذا ما يدفعنا في اتجاه الانتقال من الدعوة إلى مراعاة الخصوصيات إلى الدعوة لحوار الحضارات لبناء حد أدنى من القيم الإنسانية المشتركة بين الشعوب المتعددة الأديان والمذاهب والأطياف والاديولوجيات.

ومن هنا فإنه لمن المنطق ضرورة الاعتراف بالخصوصيات الحضارية للشعوب خاصة تلك التي تحمل منها خصوصيات عالمية، لكن هذا الطرح يقابله اصطدام بالاتجاه العالمي (الغربي-الامبريالي) أحادي النظرة المسنود بالقوة الاقتصادية من جهة وبتكنولوجيات الإعلام والاتصال من جهة ثانية، هذا الاتجاه الداعي إلى الانخراط في العولمة بقيمها ومبادئها التي جيء بها من أجلها، فأننتقل بذلك العالم من النظريات الداعية إلى حوار الحضارات إلى صدام وصراع الحضارات والقيم وإعادة تشكيل عقل الفرد وفق أنماط فكرية وسلوكية محددة سلفاً، رسمتها القوى العالمية الغربية.

وبالرجوع إلى أزمة القيم التي باتت تتخبط فيها العديد من المجتمعات اليوم بما فيه مجتمعات العالم العربي والإسلامي نجد أن الأفراد في هذه المجتمعات بما في ذلك فئة الشباب مجبرة على السير في اتجاهين إما خيار تعزيز منظومة القيم الإسلامية التي ناد بها الدين الإسلامي في القرن الكريم والسنة النبوية، وعززها تراثنا الاجتماعي وذلك عن طريق إعادة النظر في بناء هذه القيم واليات إبرازها في صورة واضحة المعالم، وفي بعد يراعي الأصالة ولا يغفل الانفتاح على الآخر، وإما الانخراط في منظومة القيم الغربية المادية التي تسوقها العولمة بواسطة الاقتصاد المادي والقوى العسكرية.

ولحل هذه الإشكاليات التي تتسبب في الصراع وأزمة القيم التي باتت تؤرق العديد من المجتمعات المعاصرة في ظل انصهار القيم المحلية لهذه المجتمعات وخاصة العربية منها في بوتقة القيم العالمية، وتشكلها في نمط عالمي جديد أصبح يشكل خطرا على هذه المجتمعات المحافظة تحدد الدكتورة سعد جبر سعيد مجموعة من الاستراتيجيات التي ترها مناسبة لحل والتقليص من هذه الإشكاليات تمثلت فيما يلي:

- السعي إلى نشر المعرفة الصحيحة بين أفراد وفئات المجتمع الواحد، حيث ترى أنه من المهم تزويد الأفراد خاصة الساعين منهم إلى اكتساب تلك الثقافات الغربية بمعلومات واضحة، فنقص وضبابية وعدم مصداقية المعلومة سبب رئيسي من أسباب حدوث الخلل في نظرها ودافع لتبني معتقدات وسلوكيات وتقاليد هذه المجتمعات، وهذا ما يجب أن تضطلع به الجمعيات المحلية والوطنية والمساجد ومؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى.
- مساعدة الفرد على النظر في نتائج القيم المتصارعة، فكل ما كان الفرد قادرا على التعرف والتمييز بين الآثار المترتبة على اختيار قيمة معينة وقيمة أخرى منافسة لها في نفس السياق، فإنه يصبح أكثر قدرة على الحكم على أهمية كل منها ودورها في حياته وهذا ما يؤدي في الأخير إلى إنهاء الصراع بين هاتيه القيم وتفضيل قيمة على أخرى في الدور والهدف والأهمية. (31)
- ضرورة الاتصال الثقافي بين شبابنا والآخر في المجتمعات المتحضرة مع ضرورة ترك مسافة حذر فاصلة في هذه العملية، للتعريف بثقافتنا وعاداتنا وتقاليدنا ومحاولة حصر المد العولمي الأمريكي بصفة خاصة والغربي بصفة عامة، وخير دليل على الانفتاح على الغرب

والمحافظة على الخصوصيات الثقافية والمجتمعية ما وصلت إليه عديد الدول على غرار اليابان والصين والهند وماليزيا واندونيسيا.

- ضرورة التبادل الثقافي حيث أن العلاقات الثقافية والاجتماعية تقوم بين الشعوب على أساس من الفهم المتبادل تجاه بعضهم البعض، فالتفاهم والتبادل الثقافي القائم على المعلومات التي ترد إلينا من مجتمعات أخرى لا تتأثر بها الصفوة بل ينالها الجميع. (32)

خاتمة

في الأخير ما يمكن إجماله وتفصيله من خلال هذه الورقة البحثية الدائر موضوعها حول الاتصال والتواصل الشبابي في مجتمعاتنا العربية المعاصرة من خلال استخدام وسائل وشبكات الاتصال ومدى تأثير هذا النمط من الاستخدام على قيم وعادات وسلوكيات ومعتقدات الشباب العربي، أن لهذه الاستخدامات بالغ الأثر سواء في جانبها الإيجابي المتمثل في الاطلاع على ثقافة الآخر وعلى درجة تطورهم وتحضرهم ووعيهم بأهمية بناء مجتمعاتهم من خلال أعمالهم المطروحة عبر الافتراضي من جهة، وعلى أنماط معيشتهم وتشبعهم بعدد القيم المجتمعية الإيجابية التي تحملها الطبقات الواعية في هذه المجتمعات (المجتمعات الغربية على حد سواء) الداعية إلى البناء والاحترام والمسؤولية الفردية والجماعية والتعاون لخدمة الآخر هذا من الزاوية القريبة النظر، ومن زاوية أخرى نرى أن غالبية شبابنا اليوم بات مولعا بهذه الحضارة الوافدة عبر الافتراضي إلى حد أنه لم يعد يفرق فيها بين العمل الواعي واللاوعي بين العوامل البناء والهدامة بين الواقعي والخيالي، وبالتالي أصبح الشاب العربي اليوم أسير استخدام هذه التقنيات في مدرسته وجامعته وعلى مائدة إفطاره وحتى في مكان استحمامه واستجمامه، ضاربا عرض الحائط لكل ما هو نابع من رحم المجتمع الذي خلق فيه وترى بين أعضائه ونشأ على مبادئه السمحة من احترام وحشمة ومراعاة للآخر وخصوصياته، وهذا ما يدعونا للقول وبدون شك أن هذه الوسائط هي بمثابة وسيلة النقل بالنسبة للأفراد إذا ما حضت باهتمام زائد كلفت صاحبها من حيث الجهد والوقت والمادة، وإذا ما تركت دون صيانة عطلت مصالحه وأهدافه وضيعت من وقته، ومنه وجب على القائمين والفاعلين في مجتمعاتنا العربية في جميع المجالات والميادين دون استثناء توجيه الجهود نحو إعطاء نمطيه في استخدام هذه التقنيات وجعلها معبرا نحو الرقي بمجتمعاتنا وقوة إيجابية دافعة بالشباب العربي نحو التقدم والنماء والازدهار ببلدانهم في ظل تنامي المد العولمي الغربي الرامي إلى التغول واحتواء المجتمعات العربية في دائرة حضارته المزعومة.

الهوامش

- (1) محمد سيد محمد: الإعلام واللغة العربية، عالم الكتاب القاهرة، مصر، 1992، ص 23.
- (2) فضيل دليو: مقدمة في وسائل الاتصال الجماهيرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص 17.
- (3) محمد عودة: أساليب الاتصال والتغير الاجتماعي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1988، ص 7.
- (4) محمد سيد محمد: المسؤولية الإعلامية في الإسلام، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 1، 1986، ص 29.
- (5) هشام المكي: الاتصال الجماهيري وسؤال القيم - دراسة في نظريات الاتصال الجماهيري المؤسسة، دكتوراه منشورة، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ط 1، 2016، ص 36.
- (6) لويس معلوف: المنجد في اللغة والإعلام، ط 39، دار المشرق، بيروت، 2002م، ص 663.
- (7) هشام المكي: مرجع سابق، ص 45.
- (8) جمال الدين بن منظور: لسان العرب، ج 12، دار التراث العربي، بيروت، ص 497.
- (9) القرآن الكريم: سورة النساء، من الآية 34.
- (10) عبد الرحمن عزي: دراسات في نظرية الاتصال: نحو فكر إعلامي متميز، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي، العدد 28، بيروت-لبنان، 2003م، ص 106.
- (11) اسماعيل عازي: قياس القيم الاجتماعية وعلاقتها بتقبل الذات لدى طلبة الجامعة المستنصرية كلية التربية، مجلة الفتح، العدد الخامس والأربعون، كانون الأول، 2010 بغداد، ص 50.
- (12) لويس معلوف: مرجع سابق، ص 371.
- (13) معجم الوسيط. مكتبة الشروق الدولية. الطبعة الرابعة 2004، ص 470.
- (14) تعريف الشباب، متاح على الرابط التالي: [HTTPS://WWW.SCRIBD.COM/DOC/86566117](https://www.scribd.com/doc/86566117) ، تاريخ الزيارة 2017/05/05، توقيت الزيارة 23:06.
- (15) عثمان سيد أحمد محمد خليل: الشباب وأوقات الفراغ - دور التربية ووسائل الإعلام من المنظورين الإسلامي والوطني - مركز الدراسات والبحوث، أكاديمية نابف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، الطبعة الأولى، 2002، ص 27.
- (16) عبد القادر بن محمد عطا صوفي: أثار العولمة على عقيدة الشباب، إدارة الدعوة والتعليم، السنة الثالثة والعشرون، العدد 215، سنة 1428 هـ، ص 25.
- *مارشال ماكلوهان كاتب ومؤلف كندي ولد في مدينة أدمينتون في كندا، اسمه الكامل هريبرت مارشال ماكلوهان ولد عام 1911 وتوفي عام 1980، أستاذ وكاتب أحدثت نظريته في وسائل الاتصال الجماهيري جدلا كبيرا، فهو يرى أن أجهزة الاتصال الالكترونية خاصة التلفاز تسيطر على حياة الشعوب، وتؤثر على أفكارهم ومؤسساتهم، قام ماكلوهان من خلال هذا الطرح بتحليل التأثيرات التي تحدثها وسائل الإعلام في الناس والمجتمع من خلال مجموعة من المؤلفات منها العروس الميكانيكية عام 1951، مجرة جوتنبر عام 1962، فهم وسائل الاتصال 1964، الإعلام هو الرسالة 1967، الحرب والسلام في القرية العالمية 1968، وزعم ماكلوهان من خلال هذه التحليلات أن كل حقبة زمنية كبرى

في التاريخ تستمد شخصيتها المميزة من الوسيلة الإعلامية المتاحة آنذاك وبدأ الاهتمام بكتاباته في ثمانينيات القرن الماضي ويعتبر من أوائل كتاب ما بعد الحداثة الذين يرون أن المجتمع أصبح مجتمع معلومات تتولى قيادته أجهزة الحاسوب و الالكترونيات.

(17) مارشال ماكلوهان، متاح على الرابط التالي: [HTTP://ALENCYCLOPEDIA.NET/ENCYCLOPEDIA/](http://ALENCYCLOPEDIA.NET/ENCYCLOPEDIA/)، تاريخ الزيارة 2017/03/30، توقيت الزيارة 14.00 مساء.

(18) بداني فؤاد: حتمية ماكلوهان لفهم قيمة عزي عبد الرحمان، مجلة الدراسات والبحوث الجامعية، جامعة الوادي، الجزائر، العدد 4، 2014، ص ص، 04-05.

(19) ماكلوهان رائد علوم الإعلام، متاح على الرابط التالي: [HTTP://WWW.ALBAYAN.AE/ONE](http://WWW.ALBAYAN.AE/ONE)، تاريخ الزيارة 2017/03/01، توقيت الزيارة 22:34 مساء.

(20) تواتي نور الدين: مقال بعنوان مارشال ماكلوهان قراءة في نظرياته بين الأمس واليوم، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية العدد العاشر، مارس 2013، جامعة الجزائر 03، ص 185.

(21) الحتمية التكنولوجية بين عصري «القلق» و«الشاشة»: متاح على الرابط التالي: [HTTP://OKAZ.COM.SA/ARTICLE/404097/](http://OKAZ.COM.SA/ARTICLE/404097/)، بتاريخ 2017/04/02، توقيت الزيارة 13.20 مساء.

**عبد الرحمن عزي أكاديمي و باحث إعلامي جزائري، من مواليد 1954 بقرية بني ورث بلان بولاية سطيف الجزائر، حفظ القرآن الكريم بمسقط رأسه، ثم انتقل إلى ثانوية عمر بن الخطاب بالبلدية و تحصل بعدها على شهادة الليسانس في الصحافة عام 1977 من جامعة الجزائر، و تأتي مرحلة سفره إلى أمريكا في الفترة ما بين 1977 إلى غاية 1985 دارسا و أستاذا بإحدى جامعاتها بمثابة الحافز الذي سجل حضور نظريته الحتمية القيمة للإعلام أو كما يسميها هو مجازيا بالحتمية النظرية القيمة، وقد كان لسفره إلى أمريكا تأثيرا بالغ على أفكاره كان ها بالغ الأثر في بصمات فكر المستقبل، عمل في بداية مشواره كمحرر في جريدة الشعب اليومية الجزائرية ثم عمل بعد ذلك كمدرس لمدة 3 سنوات في جامعة نورث تكساس بالولايات المتحدة الأمريكية، ثم كأستاذ مساعد فأستاذ مشارك فأستاذ لمدة 11 سنة بمعهد علوم الإعلام و الاتصال، جامعة الجزائر ثم كأستاذ لمدة 3 سنوات بقسم الاتصال بالجامعة العالمية الإسلامية ماليزيا ثم كأستاذ بقسم الإعلام بجامعة الملك سعود لمدة 4 سنوات، ثم أستاذ بقسم الاتصال الجماهيري بجامعة الإمارات العربية المتحدة لمدة 4 سنوات، ثم أستاذ بكلية الاتصال، جامعة الشارقة منذ 2006 إلى غاية اليوم، له عديد المؤلفات تدور معظمها حول سوسيولوجيا الإعلام الاتصال، مازلت نشاطاته العلمية متواصلة إلى يومنا هذا.

(22) عبد الرحمان عزي: دعوة إلى فهم علم الاجتماع الإعلامي، الدار المتوسطة للنشر، تونس، 2010.

(23) عبد الرحمن عزي وآخرون: حوارات أكاديمية حول نظرية الحتمية القيمة في الإعلام، دار الوم للنشر والتوزيع، الجزائر، سنة 2010م، ص ص-53-56.

(24) عبد الرحمن عزي: دعوة إلى فهم نظرية الحتمية القيمة في الإعلام، مرجع سابق، ص ص 9-10.

(25) عبد الرحمن عزي: منهجية الحتمية القيمة في الإعلام، ط1، الدار المتوسطة للنشر، تونس، 2013م، ص ص 89-90.

(26) عبد الرحمن عزي: منهجية الحتمية القيمة في الإعلام، مرجع سابق، ص 89

-
- (27) بداني فؤاد: حتمية ماكلوهان لفهم قيمية عزى عبد الرحمان، مجلة الدراسات والبحوث الجامعية، جامعة الوادي، الجزائر، العدد 4، 2014، ص ص، 4-5.
- (28) حسن علي محمد: تكنولوجيا الاتصال الحديثة - النشأة، التطور، الوظائف، التأثيرات، دار البيان للطباعة والنشر، ط2، 2008، ص13.
- (29) حسن علي محمد، مرجع سابق، ص ص، 26-28.
- (30) عبد الودود مكروم: القيم والمواطنة الإنسانية في حوار الحضارات، مركز دراسات القيم والانتماء الوطني، جامعة المنصورة، القاهرة، د ط، ص ص، 62-64.
- (31) سعاد جبر سعيد : القيم العالمية وأثرها في السلوك الإنساني، جدار للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 2008، ص ص، 50، 64.
- (32) العولمة الإعلامية: متاح على الرابط التالي [HTTP://30DZ.JUSTGOO.COM/T525-TOPIC](http://30DZ.JUSTGOO.COM/T525-TOPIC) ، بتاريخ 2017/03/30، على الساعة 15:23 مساءً.